الاول (اكتـوبـر) ١٩٧٣، ممّا مكّن، بدوره، الفلسطينيين من التقدم ببرنامج مرحلي لاقامة دولة فلسطينية على ما يُنتزع من قوات الاحتلال الاسرائيلي، وقيّض لهذه التجربة ان تعمّر بزخم كثيف نسبياً حتى انتهى الامل في عقد مؤتمر جنيف. بيد ان زيارة السادات لاسرائيل وتوقيعه على اتفاقيتي كامب ديفيـد كان لهمـا التأثير المباشر في احباط تلك التجربة. المرة الثانية في العلاقة الطردية بين التضامن العربي وتماسك البرنامج المرحلي الفلسطيني اتت واضحة في مبادرة فاس؛ ولم يكن، في تلك اللحظة امام القرار السياسي الفلسطيني الاّ محاولة تصليب الموقف العربي، الذي كان يشهد، بدوره، تشتتاً في اتجاهات شتى.

والسـؤال: هل ستخـرج الدول العـربية وم.ت.ف. من مرحلة الفرز والاستقطاب الى برنامج تضامني كالذي سبق الدخول في مؤتمر جنيف ؟

الاجابة المتأنية تقول، ان بعض الانقسامات وبعض القيود العربية ستستمر في تعويق أي فرص حقيقية لانصاف الفلسطينيين. وطالما ان بعض الدول العربية يواصل الاحتفاظ بصيغ خفيّة لعلاقات خاصـة مع الولايات المتحدة، فانه لن يكون راغباً في، او قادراً على، مواجهة واشنطن بسبب دعم الاخيرة غير المحدود للسياسات الاسرائيلية. ان الدول العربية مشغولة، راهناً، باحتياجاتها الامنية والاقتصادية قصيرة الاجل، وان ظاهر سلوك مباحثات كل من العاهل الاردني والرئيس المصري، عند لقائهما بالرئيس الاميركي في طوكيو، مؤخراً، كان مرتبطاً، بصورة خاصة، بالعلاقة الثنائية التي تربط بلد كل منهما بالولايات المتحدة، أكثر من كونه مرتبطاً بالقضية الفلسطينية، على الرغم من سيطرة الموضوع الفلسطيني على الجزء العلني من هذه المباحثات.

يضاف الى ما تقدم، احتمال ان تُحبَط توقعات الفلسطينيين بشأن امكان تثبيت موقف عربي أكثر تماسكاً في محتواه، سواء أكان التعبير عنه في قرار قمة الصمود والتصدي في بغداد (وضوح المعاداة مع كامب ديفيد) أمّ قمة فاس (الاحتكام الى عقلانية الدبلوماسية) امّ قمة عمّان الطارئة (المرونة المحايدة). كما ان الضغط الجماعي العربي على الولايات المتحدة من اجل اطلاق مبادرة جديدة في الشرق الاوسط تتّفق مع الاجماع الدولي، في المدى القريب او المتوسط، لا يحتمل ان يثبت اي نجاح يفوق تلك الجهود لترويج مشروع فاس، من طريق لجنة الملوك والرؤساء العرب، فيما تحثّ واشنطن العرب، اليوم، ودونما مسوّغ لذلك، على ان يكفّوا عن مناوراتهم البلاغية، وان يتفاوضوا مبـاشرة مع اسرائيل، من دون ان تتبنّى الادارة الاميركية، بصورة مسبقة، المعادلة الشائعة، أي مقـايضـة الارض بالسـلام. وينطوي هذا الموقف على نقض وتراجع حتى عن التعهدات السابقة للسياسة الاميركية التي وضعها وزير الخارجية السابق، جورج شولتس.

في ضوء ذلك، فان الامر الذي تجدر معاينته، الآن، هو ما يمكن ان يثمر عنه استمرار الحوار الفلسطيني ـ الاميركي، مع استمرار تحكّم قصر النفس والتزاحم المعروف بالموقف العربي، من جهة، ومع استمرار تلكؤ واشنطن في البحث في الاساسيات، على الاقل في ما يخص المشكل وشروط الحل الحقيقي للنزاع، من جهة أخرى.

ان فتح باب الحوار كان مكسباً فلسطينياً، خصوصاً وان البدائل الاخرى غير متوافرة في الاجل القريب. غير ان واشنطن ترى انْ قُدّر لهذا الحوار ان ينجح، فستأتي مرحلة ثانية يمكن فيها ادخال المنظمة والاطراف العربية الاخرى في مفاوضات مباشرة مع اسرائيل. وفحوى الكلام ـ كما يراه العديد من المـراقبـين المحاديدين في واشنطن ـ هو خطوة كبيرة الى وراء. فهذا التأجيل الضمني للحوار